اخوته ووالده واولاده يوسف بهجت وحمد ثروت وفؤاد طلعت وامين عزت ومصطفى حشمت ثم مات احد هؤلاء فكيف تدري انه نسيب لصديقك المشار اليه واي دليل من اسم العيلة يدلك على ذلك النسب وقد ضاع ما بين تلك الطلعة والثروة بل لو دريت ان محمد ثروت مثلا هو ابن لصديقك علي رأفت ثم علمت بموته وارسلت تعزي والده او ذهبت بنفسك لزيارته فكم يكون حالكما مضحكا حين تلقى ذاك الصديق وانت خاشع معزٍّ ويلقاك مستغرباً ضاحكا قائلاً لك ان الميت ليس ابني ولكن اسمه مثل اسمه

فاذا كانت الحال مع النعي والابلاغ تصل من الفوضى والاختلاط الى هذا الحد فكم تكون حين لا نعي الا بافواه الناس وسطور الجرائد. لذلك قلنا ان هذا التقصير وان كان جزئياً من حيث سهولة اصلاحه فانه عظيم جداً من حيث نتائجه وكثرة ما يجر من الالتباس ويدعو الى الموجدة والاعتذار ولهذا يحسن باخواننا الوطنيين ان يجروا في نعيهم على طريقة الاوربيين فينشروا اوراق النعي على جميع الناس ذاكرين بها اسم ميتهم وانتسابه لكل من ينبغي ان يعزوا من اقربائه مع ذكر وظائفهم واماكنهم منعاً للالتباس من مشاكلة الاسماء ثم يحسن بهم ايضاً ان يجروا على طريقة سائر الناس من ضم الاسرة كلها الى اسم واحد وان يهجروا تلك الاسماء المدرسية فان حالة عصرنا لا تلائمها ومبلغ مدنيتنا لا ينطبق عليها. ولعلنا نجد من اقلام كتابنا ساعة في هذا الموضوع الهين الاصلاح

كلمة في الرجل

كثيراً ما خاض الكتاب عباب البحث في شؤون المرأة واسباب ترقيها ونسبتها الى الرجل ولم نجد قط من الكاتبات من تصدت للحديث عن الرجل وعن اسباب تقدمه كانها تحسب ذلك خارجاً عن دائرة اهتمامها او انه قد انتهى الى ارفع مركز من الاداب والعلم وارتقى الى ذروة الرفعة والحضارة بما جعله في غنىً عن مثل ذلك والحقيقة انه ادعى الى التهذيب منها واشد احتياجاً الى ترويض الخلق وتنوير الذهن ليحسن القيام بما يلقى عليه من تبعة الاعمال كما انها اولى الناس بالبحث عن الوسائل المستكملة لصفاته المستجمعة لخلاله لكي تجد فيه يوماً خير الرفيق ونعم القرين وانها بذلك لتخدم نفسها ايضاً لانه كلما ازداد الرجل تهذيباً وعلماً يزداد مقام المرأة عزة ورفعة فتتمتع بما لها من الحقوق الشخصية وما ينالها من الحرية الادبية وبعكس ذلك اذا كان الرجل قاصراً عن ادراك مقام المرأة في الهيئة الاجتماعية او محافظاً على عادات قديمة محت آثارها العصور الحديثة التي استنارت بنور التمدن والعلم فانه بجهله يهضم حقوقها وينكر عليها ما حبتها به الطبيعة والعلم فيعاملها معاملة الظلم والاستبداد وينبذها كانها لم تخلق الا لاتباع اوامره والخضوع لاحكامه فوجب علينا والحالة هذه ان نبحث في جميع احواله فنقتدي بالحسن منها ونصلح ما يفتقر منها الى الاصلاح

يشقى الانسان ويبذل العمر بين سعي وجهاد تطلباً للرزق الذي هو من اهم لوازم الحياة حتى اذا ما فاز بهذه الامنية سعى الى غيرها من ترف

العيش وملذات النفس كلما نال منها شيئاً تمنى غيره وكلما فاز بكسب تطلب سواه املاً في بلوغ قمة الارتقاء والتمتع بكل انواع السعادة والمسرات مستنبطاً لذلك ما امكنه من الوسائط والاختراعات التي تسهل لديه وعورة المسالك وتمهد امامه سبل العلاء كما يشاهد في الشعب الاوربي الذي ما زال يسابق بعضه بعضاً في ميدان العلم والعمل حتى وصل الى ماتراه عليه الان من التقدم والفلاح غير ان هذا الميل قد يتفاوت بين الشعوب بتفاوت الاحكام الجارية عليها ومقدار الوسائل الموجودة لديها

اما الشرقي فقد لبث زمناً غائصاً في ظلمات الجهالة راضياً من الحياة بملذات الدنيا الى ان بزغ فجر العلم في بلاده واشرقت انوار الحضارة حوله فازالت عن عينيه برقع الغباوة والجهل فرأى العالم المتمدن حافلاً بطرق المصنوعات متمتعاً برغد الحياة وسهولة العيش ورأى ان ما يجهد الشرقي نفسه لعمله مستغرقاً عليه الساعات الطوال يصنعه ذاك بآلة لا تكلفه تعباً ولا تستغرق منه وقتاً ويكون اتقن من عمل اليد وافضل فتنبهت فيه حاسة الميل للاقتداء به والتلبس بامياله وظواهر احواله مستنكراً البقاء على عادات اجداده لما فيها من السذاجة والبعد عن اسباب الرفاهية الا انه لم يحذ حذوه من حيث الاقدام والثبات في الاعمال والاقبال على درس علوم التربية والاقتصاد مع حسن الانتفاع بالدرهم والوقت الى غير ذلك من العلوم اللازمة لترقي الامم والمشيدة لدعائم العمران بل ترك هذا الجوهر جانباً وتمسك بالعرض من مظاهر الكبر والفخفخة الفارغة وكل ما يزيد بالنفقة ويكون مدعاة للفقر والخسران فلم يمض عليه طويل زمن حتى شعر بثقل وطأة تهوره فنسب ذلك لاحكام التمدن حال كون التمدن بريئاً منه فعلا صوته بالشكوى

والتذمر من سوء حاله متمنياً لو تعود اليه ايام اجداده مع ما كان فيها من بسطة العيش وصفاء البال وهو يرى الغربي من بعيد ناعم البال لا يراعي الا ما فيه مصلحة لنفسه فيحسده على حسن حاله ولا يمكنه ان يعيش نظيره لكونه لم يشب في صغره على المبادي التي غرست في الاوربي فضلا عن ان احوال بلاده ومعايش اهلها وعاداتهم تختلف كل الاختلاف عن احوال الاوربيين وعاداتهم ومعايشهم وهذا سبب عظيم في تأخر الشرقي وانحطاطه عن الغربي وايضاحاً لذلك نبسط للمباحث الناقد حالة كل منهما داخل منزله فيعلم لماذا يسعد الغربي ويشقى الشرقي

لنفرض ان كليهما مستخدم براتب عشرة جنيهات شهرياً فالغربي يعيش بهذا النزر القليل مع زوجته وأولاده في بسطة من العيش لا يمسه ذل ولا عوز بل يوفر منه قسماً لوقت الحاجة فيأمن من الفقر والسؤال وما ذلك الا بفضل المرأة ومعاضدتها له وما من فضل للمرأة الا وكان هو مصدره فانه رفعها من زوايا الخمول ومنحها الحرية لان ترتشف كؤوس العلم صافية بعد ان نزع عنها برقع الذل والجهالة فبرزت اليه بوجه جمله العلم وكلله الوقار وزانه الاحتشام وبيضه العفاف وكتبت الحرية على جبينها سطراً ملخصه بمثل هذا يسعد الرجل وكان كلما زادها خطوة من العلم زادته مرحلة من السعادة بحسن تدبيرها وقيامها بحق الواجب عليها نحوه فسلم اليها زمام اموره وترك لها حرية التداخل بشؤونه ومقاسمته الاتعاب عقلاً وجسداً وبذلك بث فيها روح الغيرة على مصلحته ودعاها الى درس فن الاقتصاد واستنباط وسائل العناية والتدبير بتوفير راحته وصيانة ثروته فساد الهناء في منزلهما وتحكمت الالفة من قلبيهما

ولا عبرة بما تضطر ان تنفقه احياناً على ملابسها وانواع زينتها فماذلك الا من فضلات اقتصادها واي رجل يأبي ان يرى قرينته مجملة بابهى الحلى والحال مادام ذلك لا يتعدى فضلات الاقتصاد. اما الرجل الشرقي فينفق جميع راتبه دون ان يسد به الحاجة بل يلبث ابدالعمر مثقلاً بالديون محاطاً بالمتاعب لا يهنأ له بال ولا يصفو لايامه جو وما السبب في ذلك كله سوى ما شب عليه من المبادي الفاسدة والتقاليد المضرة مما جعله مذعناً لحكم التشبه منفذاً لقضاء العادات مهما كلفه ذلك من العناء ومهما جلب له من اسباب الفقر وانواع الشقاء فينقاد صاغراً لكل ما فيه شيء من مظاهر الغنى والعظمة دون ان يرحم كيسه الفارغ او يخشى سوء العاقبة. وظاهر ان من كانت هذه حاله يضطر الى ان يغض الطرف عما يتقاضاه الواجب من النفقات اللازمة لكل من افراد اسرته وذلك مجلبة للشحناء وسبب لاثارة النفور والبغضاء كما يشاهد غالباً بين المتزوجين

ورب معترض يقول لم لا تتلافى المرأة الشرقية هذا الخلل كما تفعل الغربية فنجيب ان المرأة الشرقية لم تبلغ بعد درجة من العلم تعرف معها واجبات الزوجية والامومة لان الرجل اغلق دونها باب النباهة والعلم فلم يبق لها الا سبل التبهرج والتزين مما يدعوها الى التبذير وجهل الوسائل الفعالة ضد هذا الداء حالة كونه لو احسن تهذيبها ومعاملتها لانت بما لا يقدر عليه الرجل من تشييد المنزل وملافاة اسباب سقوطه بما وهبت من حسن الصفات الغريزية وما رزقت من النيرة الوقادة والصبر وعلو النفس والطهارة والاخلاص والعفاف والبداهة وسرعة الخاطر وقوة الذاكرة ولكن انى لها ذلك وقد كانت زمناً عرضة لاستبداد الرجل الذي بلغت منه الهمجية ان ضيق على

دائرة عقلها وضغط على افكارها موثراً تذليلها واسقاط همتها وما زال البعض ممن خيم الجهل على عقولهم وسادت الحماقة على اذهانهم يعتقد بقلة حزمها وانحطاط ادراكها عن الرجل فبديهي ان من كان ذلك اعتقاده وتلك هي مبادئه بعاملها معاملة تشف عن اقتناعه بانحطاطها ادبياً وانخفاض رتبتها عنه حال كونها تعلم كما يعلم كل عاقل خبير ان المرأة والرجل من اصل واحد وطينة واحدة وكلاهما حائز على صفات الانسانية وقد خص كلاهما باخلاق وصفات تباين اخلاق الآخر وصفاته كما تميز كلا منهما عن الاخر شكلاً وجنساً فالمرأة مساوية للرجل ولكنها غير الرجل وكما ان مركزها في المجتمع الانساني غير مركز الرجل فوجب ان تكون حائزة على صفات غير صفات الرجل لكي تقوم باعمال غير التي يقوم بها الرجل وذلك بحكمة طبيعية فقد وجدا نصفين ليكونا باتحادهما شخصاً كاملاً يشيد الكون ولولا ذلك لفسدت طبيعتهما وبطلت الغاية من وجودهما

ولكن مع علم المرأة بذلك فقد يضطرها الحال اما للخضوع لاحكام الرجل وحينئذ تصغر نفسها وتقل منزلتها في عينيها لانه يغلب على اعتقادها انها انما وجدت لترضي الرجل وتخدمه فتجعل دأبها الزينة والبرقشة كصورة تلذ رؤيتها او طائر يسر بحسن تغريده واما ان تأخذ حكمه دليلاً قاطعاً على ظلمه وجهله حقيقة قدرها فيزول احترامه من فؤادها وتنتزع حاسة الحب والشفقة من قلبها فلا تبالي بحاله وربما زادت من النفقات قصد كيده وفي الحالتين لا يكون لها من نفسها زاجر يمنعها من اتباع اللهو والبذخ والتبذير جاهلة ما لها وما عليها من الحقوق والواجبات مما دعا الرجل لان يقوم باعمال الاثنين معاً فخبط سعياً وجنى ثمرة معاملته للمرأة التي ندعها الان وننظر في

حالة من بقي من الاسرة وهم الاولاد

من المقرر ان الواجبات الوالدية لاتقف عند حد الغذاء وسد حاجات الجسد ولكنها شاملة لترويض الخلق وانماء القوى العقلية وذلك بحسن تربية الولد وتمهيد سبل ارتقائه وبث روح المروءة والفضيلة في قلبه والاعتناء باصلاح سيره ما استطيع السبيل الى ذلك اما الرجل الشرقي فانه اذا كان فقيراً يتركه لاحكام الطبيعة ينمو كالحيوانات لايميز عنها الا بالنطق وان كان غنياً فافضل ما يصنعه معه هو ان يسلم امر العناية به الى الخدم ثم يرسله الى المدرسة حينما يبلغ سن الثامنة والتاسعة وهو ليس اقل جهلاً منه حين كان في مهده لانه في الحالتين لايبالي بتهذيب اخلاقه وتنوير عقله ببعض ارشادات بسيطة وايضاحات علمية على قدر ادراكه بل يترك جميع ذلك الى اساتذته ولا يعلم ان الغصن اذا اعوج صغيراً عز تقويمه كبيراً فضلاً عن انه يمهد له بذلك سبل الغي والعصيان من حيث يقصد الرفق والحنان وكفى انه اقام نفسه حاجزاً بين العلم والمرأة فحال دون وصولها الى نقطة من العلم تحسن معها القيام بواجب الامومة وزاد بان اذل نفسها واساء معاملتها مما دعا البنين الى قلة احترامها وعدم امتثالها لاوامرها فكم من اولاد يشتكون والدتهم الى والدهم حين يعود مساء على توبيخ نالهم منها او قصاص فرضته عليهم لذنب اتوه فيصغي اليهم الاب هاشاً كانه ينشطهم على انتهاج تلك الهمة الحرقاء وكثيراً ما ينتهر قرينته امامهم ويأمرها بالعدول عن « تكدير شعائرهم » والكف عن « تعكير مزاجهم » عوضاً عن ان يقابلهم باللوم والتقريع مظهراً لهم ان لها الامر وعليهم الاذعان

فلا ريب ان ذلك ينشئ في الابن حاسة الاحتقار لوالدته بل للمرأة

عموماً ويجعله يعتقد برفعة مكانته عنها فلا يطيع لها بعد ذلك قولاً ولايحسب لوجودها كبير امر وعليه يحرم عناية الاثنين معاً فيذهب الى المدرسة وهو على ما ذكرنا من الجهالة والمبادئ الفاسدة حيث يلتقط بعض علوم ابتدائية لاتغنيه فتيلا ولاتكفي لترويض اخلاق من كان على هذه الشاكلة فيخرج منها وقد نفخت فيه تلك العلوم القليلة روح الكبر شأن من ورد نقطة من بحر فيأنف من الاحتراف والاستخدام لانه لايلائم ذوقه بل يصرف افضل ايام العمر باللهو والبطالة الى ان يتيسر له من الاشغال العالية مايطابق امياله فيأنس بها مع مافيها من الربح القليل ومن ثم يسير على الخطة التي ذكرناها خطة ابيه يقاسم السيدات الزينة وينفق بلا حساب رجاء ان تعوض عليه العروس من بائنتها (دوطتها) اضعاف الاضعاف

هذا ماعن لي ايراده من النقائص التي يراها كل خبير في الرجل وسآتي على ذكر المزيد منها في الاعداد التالية ان شاء الله رغبة في الاصلاح لاحباً بالانتقاد والتعنيف فلا يمضي طويل زمن حتى نرى الشرقي قد تقدم شوطاً كبيراً في طلب العلم ومباراة الغربي في الفنون التي هي عماد الحياة وركن الوجود وحينئذ ينظر الى المرأة بعين سليمة من الجهل والغباوة فتقابله بما لديها من الصفات الحسنة والاخلاق الفطرية الحميدة ويعيش كلاهما بالرغد والهناء والصفاء والرفاء ويعترف اذ ذاك ان المرأة لاتقل ادراكاً عنه بل كلاهما في درجة واحدة وبغير اتحادهما لايتم التمدن والعمران

(لبيبه ماضي)

هاشم